الــزوايا بين الماضي ومتطلبات المعاصرة :قراءة في بعض مظاهر التحديث لدى بعض زوايا الطرق الصوفية

د. احمد زردومي

أ. مسعي أحمد محمد الصالح

جامعة قسنطينة 2- الجزائر

الــملخص

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم أهم الآليات والوسائل التي انتهجتها مؤسسات التصوف المتمثلة في الزوايا من أجل التكيف مع المتغيرات التي يشهدها العالم اليوم في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية باستثمار وسائل التحديث من طرق التنظيم الاقتصادية وتقنيات الإنتاج والاتصالات وغيرها من الوسائل وكذا انتهاج سبل تعزيز خطابها في الحياة المجتمعية بالمشاركة الفعلية في المجتمع ،الشيء الذي ضمن لها الاستمرارية والتعايش حتى مع المجتمعات العلمانية.

الكلمات المفتاحية: الزاوية ،الطريقة ،التحديث ، التكيف ،الممارسة والخطاب،الوسائل والآليات

This study is aimed to show the most important means of mysticism institutions in order to adjust its self to the actual economic ,social , and intellectual changes . it is through the developed and technological means , like the new methods of economic organization , the new communication and production techniques that zawaaya realized its long lasting . in addition to that , zawaaya has enlarged its address to the social life ,as a whole, through its active and various participation in all fields of continuity even life , and this is what gave her more long lasting and within the secular societies .

مقــدمة

من الظواهر الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان ظاهرة الزوايا وقد اشتغلت عليه الكثير من الدراسات بهدف استكشاف محتواها العقدي والفكري.

وقد ارتبط ظهور الزوايا والطرق الصوفية بما آل إليه التصوف من تحول من طابعه السلوكي الفردي إلى التنظيم الجماعي في شكل مؤسسات في المدن والأرياف ومن خلال معطيات ملموسة يمثل ولي الله محورها الأساسي والزاوية فضاءها الأول والطقوس معانيها.

فالزاوية مؤسسة دينية اجتماعية وتربوية تعمل ضمن نظام خاص بها يتميز بالتنظيم والحكامة مبنية على علاقات بين الشيخ المربي والمقدمون(ممثل عن الشيخ نائب عنه في الزوايا الفرعية) ومنها للمريدين تسمح هذه العلاقة بتحقيق التواصل وضمان الوحدة وان تباعدت الأمكنة تلعب من خلالها الزاوية أدورا رمزية ومعنوية داخل المجتمع مما وفر لها مسؤوليات دينية و دنيوية .

ولقد لعبت الزوايا عبر حقب تاريخية أدوارا مختلفة في الجوانب الدينية والتعليمية والاجتماعية والثقافية قامت بتأطير قطاع واسع من الحياة المجتمعية تطبعت بقيمها وأساليب تنشئتها ،ومع ظهور المؤسسات التنشئية الحديثة كالمدرسة ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني كالجمعيات والنوادي تراجع إلى حد ما دور الزوايا في المجتمع حتى أن بعض الباحثين في حقل الدراسات الثقافية والمهتمين بقضايا التحديث توقعوا تراجع هذه المؤسسة في المستقبل لعدة اعتبارات لعلها أهمها انتشار موجة التحديث وغياب الهدف السياسي لهذه المؤسسة وبروز حركات أخرى إسلامية تنازعها الدور لكن الواقع كان عكس ذالك ،حيث لوحظ في السنوات الأخيرة عودة لهذه المؤسسة في المشهدين الوطني والدولي بل المراهنة على هذه المؤسسة في بعث الهوية والقيم والضبط الاجتماعي مما جعل الكثير من الباحثين في حقل الدراسات الاجتماعية إلى إعادة دراسة هذه المؤسسة ومحاولة فهمها ومعرفة أهم التغيرات والتكيفات التي عرفتها هذه المؤسسة في الوقت الراهن .

حيث سنتعرض في هذا المقال إلى التعريف بهذه المؤسسة وأهم وظائفها في المجتمع وإلى مفهوم التحديث وإلى أهم جوانب التحديث التي عرفتها بعض الزوايا تكيفا مع المتغيرات التي يشهدها العالم اليوم مقدمين في ذالك ثلاثة نماذج للدراسة وهي: الحركة النورسية في تركيا والطريقة البرهانية بالسودان والزاوية التجانية بتماسين ولاية ورقلة و بعض فروعها لولاية الوادي بالجزائر

1- الـزاوية وتطور مفـهومــها

يقتضي تحديد مفهوم الزاوية معالجة من زاويتين مركزيتين أولهما التعريف اللغوي وثانيها التعريف الاصطلاحي والجمع بينهما يساهم بشكل واضح في تحديد مفهوم متناسق حول الزاوية.

والزاوية في اللغة هي ركن البناء وهي من الانزواء والانطواء والبعد عن الحياة العامة والأسواق(**ابن منظور، ج.2000:363**)ولعل إطلاق هذا المعنى عن الزاوية كون أغلب الزوايا موجودة في المناطق المهجورة والأرياف بعيدا عن العمارة.

وقد جاء في معجم الصحاح أن كلمة زاوية مشتقة من الفعل زوى ،والزاوية واحدة (زوايا) وزوى الشيء يزويه (زيا) جمع وقبضه.وفي الحديث (زُوِيَت لي الأرض فأُرِيتُ مشارقها ومغاربها)،وانزوت الجلدة في النار اجتمعت

وتقبضت(**الرازي،م.2000:2453**). وفيها معنى أن الزاوية تزوي المريدين وتجمعهم في مكان معين من أجل العبادة .

وزوى الشيء أي النجاة ،وانزوى القوم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا.(**ابن منظور،ج.2000:364**) وفي هذا معنى القرب والتعاون ،وهذا الشيء يدل على وجود قواسم وأهداف تجمع بينهم.

من خلال التعاريف اللغوية يتبن لنا التعدد اللغوي لمفهوم زاوية فتعني :الانزواء والتضامن والاعتكاف والركن...ويمكن أن نلحظ هذه الدلالات في الوظائف التي تؤديها الزاوية.

ويرتبط المعنى الاصطلاحي للزاوية بالمعنى اللغوي، فالزاوية بمعنى الانزواء واتخاذ ركن للعبادة وهو ما كان عليه الصحابة من الرعيل الأول حيث يتخذون ركنا من أركان المسجد للتعبد ،يقول في ذالك حسن إبراهيم حسن: وقد أدرك الخلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين للانزواء فأنشأووا لهم مساكن ملحقة بالمسجد كما نجد ذالك ماثلا حتى الآن ببعض مساجد فاس والقاهرة (**حسن،ح.1979:401**). وقد أُتُخِذ من هذا الركن مكانا يلتقي فيه الصالحون لعبادة الله وذكره والتفقه في أمر الدين.(**الوزاني،ع.دت:16**)

غير أن لفظ الزاوية ارتبط عموما بزهاد المسلمين والذين تسموا بالصوفية، فالتصوف من بين مدلولاته أنه أطلق على جماعة أهل الصفة الذين اتخذوا ركنا من المسجد للعبادة والاعتكاف ،وبظهور حركة التصوف والذي أصبحت يمثل الجانب الروحي الأبرز في الحضارة الإسلامية أصبحت لمسمى الزاوية الصلة الوثيقة بالتصوف والصوفية فجاءت كل المفاهيم مقترنة بذالك. ومن بين التعريفات التي ربطت الزاوية بالتصوف منها:-

الزاوية هي مأوى العباد والفقراء الصوفية وطلاب العلم والمسجد غير الجامع الذي ليس فيه منبر.أي يتخذ للعبادة فقط ،كما عرفها بالباي هي ركن يبنى كالدير أو الصومعة ففي شمال القارة يطلق لما خص بالأولياء (**عبد الحق،ب ومحمد الهادي،ب.2013:243**).واتفق هذا التعريف مع بعض تعريفات المستشرقين للزاوية على أنها دار دينية ودار مجانية للضيافة(**الوزاني،ع.دت:15**).وهذا يعني أن الزاوية تشبه الدير من خلال أنها أماكن للتنسك والعبادة .

وحسب التليلي أن الزاوية ينشئها شيخ ذو شأن روحي قاصدا بذالك الأولياء ورجال الطرق الصوفية الذي ساروا في دروب التصوف حيث يقول:الزاوية هي مؤسسة يقوم بتأسيسها رجل ذو شأن روحي وشخصية معروفة بالفضيلة بمبادرة منه ،مشهور بالتقوى والصلاح والعبادة ويتولى منها مهمة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه، والإرشاد لمن يتبعه من المريدين(**لعجيلي،ت.1992:34**).

وقد أطلقت عدة مسميات على الزاوية إلا أن لفظة زاوية هي التي عُرِفَت بها المؤسسة من ضمن كل تلك المسميات . ومن هذه المسميات ما أطلقه المغاربة في القرن الخامس هجري على الزاوية كدار الكرامة كان من أبرزها ما بناه يعقوب المنصور الموحدي في مراكش ودار الضيوف والذي أطلق على ما بناه المرينيون في تلك الفترة(**حجي،م.1964:25**).

وقد سميت الزاوية باسم الرباط .والرباط لغة من مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان ,ويطلق الفقهاء والصوفية لفظ الرباط على شيئين(**حجي،م.1964:23**):-

أ– البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم الأعداء عنها.

ب– عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أحوال الدين.

وقد ورد لفظ الرباط في القرآن الكريم في قوله تعالى {وأعدو لهم ما أسطعتم من قوة ومن رباط الخيل}.(**الأنفال:60**)

وقال أيضا :{يا أيها اللذين آمنوا اصبروا وصابرو ورابطو وأتقو الله لعلكم تفلحون}.(**آل عمران:20**)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم{ رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه}.(**النيسابوري.م.2006:923**)

كما سميت الزاوية بمسميات متعددة اختلفت حسب المناطق منها الخنقاوات والتي أطلقها الفرس على البيت الذي أنشأ لإيواء المنقطعين والزهاد والعباد(**الوزاني، ع.دت:15**). كما سميت بالتكايا عند الأتراك وسميت بالمسيد وغيرها من المسميات .

وقد تحولت مفاهيم الزاوية بالدور الذي أصبحت تلعبه في الحياة المجتمعية حيث أصبحت تؤدي على غرار العبادة وظائف أخرى متعددة كالضيافة والرباط والتعليم وغيرها من الوظائف.

وعن هذا التحول يقول بكراوي محمد عبد الحق و بكراوي محمد الهادي في مقال مشترك: ثم تطور مفهوم الزاوية من أماكن للتعبد والخلوة إلى مؤسسة علمية قائمة بذاتها تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيظ القرآن وتدريس العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وتوحيد ،والعلوم اللغوية من نحو وصرف بلاغة ،إضافة إلى ذالك توفير للطلاب الوافدين الإقامة والوجبات الغذائية مجانا ،كما يجد فيها الزوار وعابري السبيل الإقامة المريحة وراحة.(**عبد الحق،ب ومحمد الهادي،ب.2013:243**)

ويعرف صالح بوسليم الزاوية بأنها مؤسسة دينية روحية واجتماعية إسلامية وقد أصبحت مع مرور الزمن مركزا للحياة الدينية والعلمية(**بوسليم،ص.2010:114**).

وقد عرفها أدواردودنفو في كتابه الإخوان بقوله :الزاوية هي مؤسسة لا مثيل لها في الدول الغربية ،يدفن فيها أفراد المؤسسة

،حيث تصبح موسما للحج([1])يؤمها الأتباع وأحباب الأسرة في فترات محدودة وهي بذلك تقوم بدور المسجد حيث يجتمع مسلمو القرى المجاورة لإقامة صلواتهم والمدرسة حيث تدرس فيها كل العلوم قراءة وكتابة ،علم الحساب وجغرافيا

[1] * الحج في هذا التعريف لفظ يطلقه المستشرقون وبعض المؤرخين على الزيارة الموسمية عند الطرق الصوفية وذالك نظرا للتشابه بين المشهدين. حيث تقوم مجموعة من المريدين كل عام بزيارة جماعية لقبر الشيخ المؤسس أو خلفائه في شكل وفود وجماعات للتبرك والزيارة وتجديد العهد والولاء.

وتاريخ .....،يجتمع فيها العلماء لدراسة الحاجات التي يجهلها البعض ،ومناقشة بعض قضايا الشرع أو التاريخ أوالدين ،لها دور المستشفى والفندق الذي يأوي إليه الحجاج والمسافرين والمرضى والعجزة والعقام ومكتبة تزخر ذخائرها يوميا بأعمال المتعلمين(**خليل،ك.2007/2008:20**).

ويرى مختار فيلالي أن لفظ الزاوية برز للوجود بما آلت إليه فكرة الرابطة .فقد كان المسلمون الأوائل يرابطون في الثغور لحماية إخوانهم من هجمات الأعداء وضمان الأمن لحدود الدولة الإسلامية وكان المرابط يقوم إلى جانب وظيفته الحربية بمهمة التعليم والتوجيه لمن حوله ,ومن هنا يتضح لنا أن وظيفة الرباط في البداية كانت حربية وتعلمية في آن واحد ,ويبدوا أن قيام الدولة المرابطية في المغرب على أساس الرباط أدى إلى انتشار اللفظ وتغير مفهومه بمرور الزمن حيث أصبح يطلق على كل ناسك باسم مرابط ,وإذا كان ميتا فغالبا ما يطلق على جثمانه القبة أو الجامع أو المزارةُ،وبتغير اللفظ في المغرب الأوسط أصبح لا يعني الرجل الذي يلازم الرباط في الثغور لمراقبة العدو بل أصبح يقصد به رجلا ذا سلطة روحية ونفوذ قوي على الناس بسبب ما نسب إليه من كرامات. و أصبح يطلق على مقر المرابط اسم الزاوية وقد ظهرت الزاوية في المغرب العربي في القرن 13م حلت تدرجيا محل الرباط واستمرت تدرجيا في التطور بإحداث وظائف جديدة في العهد العثماني على يد هؤلاء المرابطون والطرق الصوفية حيث جمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه(**فيلالي،م.1976:23 ومابعدها**).

ولهذا نجد العديد من المؤرخين في تقسيمهم لأنواع الزوايا رجحوا مقياس الدور والوظيفة التي تؤديها الزاوية في المجتمع كزوايا التعليم وزويا الطرق الصوفية وزوايا الإطعام وزوايا المرابطين....وهو الذي من خلاله برزت الزاوية في المجتمع.

وفي الأخير نقول أن مفهوم الزاوية عرف تطورا عبر الزمن. والزاوية كتعريف إجرائي :هي مؤسسة دينية صوفية في الغالب تقوم وفق نمط عقائدي معين يرسمه الشيخ المؤسس تؤدي إلى جانب وظيفتها الدينية مجموعة من الوظائف الاجتماعية و التربوية والاقتصادية والثقافية

2- وظـائف الزاويــة في الــمجتمع

2-1 الــوظـيفة الدينية

تعتبر الوظيفة الدينية المحور الأساسي التي انبثقت منه مؤسسة الزاوية ومنهجها الفكري في التنشئة الاجتماعية وتقوم التربية الدينية للزوايا حسب عبد الله شريف الوزاني على ترسيخ القيم الروحية في نفوس المريدين و تعمل على تهذيبهم وفقا للأخلاق الإسلامية و تربيتهم على حب الله و حب الرسول صلى الله عليه وسلم و التشبث بالعقيدة الإسلامية السمحة , و محاربة العدو الكافر و مجانبة البدعة و التمسك بالسنة المطهرة(**الوزاني، ع.دت:17-18**) .

ويعتبر تعليم القرآن الكريم عن طريق تحفيظه والدعوة للتمسك به وكذالك الصلاة التي هي من أبرز عُرَى هذا الدين المنهج الذي قامت عليه الزوايا تقول في ذالك خالدي مسعودة : إن الزاوية تعمل على تحفيظ القرآن حيث يجلسون

في حلقات يترأسهم الشيخ أو المعلم، و تمد الزاوية مريديها بالعلوم الدينية والعلوم الشرعية وعلوم القرآن والفقه والسيرة النبوية.....الخ كما أن الزاوية تنشأ مريدا محافظا على الصلاة وفي الجماعة سواء في المسجد أو الزاوية من خلال العقد الذي أبرمه مع الله أولا ثم مع الزاوية بالاجتماع مع إخوانه المريدين إما للحفظ أو الذكر أو حلقات تقام من أجل ذكر الله. التي تشعر المريد بالسمو وتزكية النفس.(**مسعودة،خ.2010:35**)

وتقوم زوايا الطرق الصوفية على تلقين الأذكار وتحث على الإكثار منها وذالك استنادا للآية الشريفة في قوله تعالى : { يا أيها الذين أمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا}.(**الأحزاب:41**) فهم يذكرون الله أفرادا و جماعة و العدد يختلف من مرة إلى ألف (عدد الذكر) و هم يكثرون من ذكر اسم الله أو عبارة الاستغفار أو قراءة آيات من القرآن كسورة الإخلاص ....و لكل طريقة عبارة تركز عليها في ذكرها و هي التي تحدد عدد المرات وأوقات الذكر و عبارات الأدعية .(**سعد الله،أ.1998:24**)

وقد ساهمت زوايا الطرق الصوفية في نشر الإسلام وتعاليمه خاصة في الدول الإفريقية ،ويتحدث شكيب أرسلان عن هذه النماذج بقوله:فالقادرية هم أحمس مبشري الدين الإسلامي في غربي إفريقيا من السنيغال إلى بنين التي هي بقرب من مصب النيجر وهم ينشرون الإسلام بطريقة سِلْمية ،كما علق على دور الطريقة التجانية بقوله : أن إفريقية كادت تكون كلها إسلامية لولا القضاء على سلطنة التجانية.(**غزالي،أ.دس:13**)

أما في الجزائر فقد كان للمؤسسات الدينية المتمثلة في الزوايا دور في إرساء صرح التعليم الديني الذي صان عقيدة الأمة الجزائرية وقواها و استطاع أن يشكل الرعب و الخوف لدى المستعمر الفرنسي و الذي صرح به الرئيس الفرنسي جى موليه بقوله (إن الحركات الإسلامية التي تتسع في شمال إفريقيا هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب) .(**نسيب،م.دس:50**) وقد أنجبت الزوايا في الجزائر رجالا لقنوا المستعمر أعظم الدروس والانهزامات من بينهم عبد القادر الجزائري والشيخ الحداد و المقراني ومن النساء لا لا فاطمة نسومر وغيرهم.

كما كان لبعض الزوايا مزية تاريخية على بعض المناطق خاصة في الجنوب الجزائري وذالك بنشرها للقيم الإسلامية يقول إبراهيم الساسي لعوامر: وببلدة تماسين أيضا الزاوية التجانية الشهيرة وإخلاصا للحقيقة التاريخية إن رجال الزاوية التجانية المذكورة قاموا بدعم عظيم في سبيل حفظ القيم الإسلامية والروح العربية في هذه المناطق ومتنوا الصلة الثقافية بين علماء تونس وأهل واحات تقرت.(**لعوامر،إ.2007:33**) وعموما ترتكز الوظيفة الدينية للزوايا على تزكية النفس والدعوة لتمسك بالتعاليم الإسلامية للدين الإسلامي.

2-2 الوظيفة التربوية و التعليمية للزوايا

تعتبر الزاوية مؤسسة تربوية وتعليمية بلا منازع ومركزا للإشعاع الفكري وقد كانت خلال فترة من الزمن هي المؤسسة التربوية الأولى ، وقد قامت بدور المدارس الحديثة خلال الفترة الاستعمارية وعن الزاوية في تلك الفترة يقول الظابط

الفرنسي كوبلاني :وفي الجزائر غالبا ما يكون مفهوم الزاوية مرادف للمدرسة , لأن هذه المؤسسة تقوم بتقديم مختلف المعارف المدرسية مثل اللغة العربية و القراءة و الكتابة و حفظ القرآن و التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة و التوحيد (**خليل،ك.2008/2007:27**)

ويعتبر التعليم القرآني من أبرز نشاطاتها مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم ما يستلزمه من العلوم اللغوية الشرعية التاريخية والفلسفية ,والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد علمية عالية أسست لقراءة القرآن وما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج (كنوز أسراره ومعانيه) ولذالك فقد كانت إلى عهد قريب من المراكز الهامة التي حفظت اللغة العربية والثقافة الإسلامية من الاندثار في الجزائر خلال فترة الاحتلال الطويلة.(**رابح،ت.1975:245**)

وقد ساهمت الزوايا في تعليم الأطفال بإنشاء الكتاتيب و المدارس مما ساهم في تطوير الحركة العلمية و الفكرية و ازدهار حركة التعليم بأنواعها و تطوير طرق التدريس بمراعاة الجوانب النفسية و القدرات العقلية للمتمدرسين مع نشر هذه المدارس و الكتاتيب في المدن و الأرياف فمكنوا بذلك كل فئات المجتمع منه. كما كان للزاوية أيضا مجهود كبير في إنشاء المكتبات و تشجيع التأليف و نشر الثقافة الشفوية عن طريق مجالس الذكر و قد كانت جهودهم في تفسير القرآن و الحديث و العلوم اللسانية و قول الشعر و كتابة النثر و الاهتمام بالعلوم العددية و الطبيعية و الاعتناء بالتأليف في العلوم الدينية و قد جعل الكثير من حواضر الجزائر مركز إشعاع ثقافي و فكري جذب إليها العلماء و المريدين و الطلبة خاصة في بجاية و تلمسان.(**خليل،ك.2008/2007:27**)وغيرهما

وفي هذا الصدد يقول توفيق المدني في كتابه الطرقية والزوايا(لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا الجزائر مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر ,تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات ,وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا (الرباطات)يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل,ويقومون بتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ولا لعلوم الدين.(**المدني،أ.دت:375**) وقد لاقى هؤلاء الرجال أعظم أنواع التنكيل والتعذيب والمتابعة والإقامة الجبرية لكن لم يثنيهم عن القيام برسالتهم في المجتمع.

وعن أثر التعليم الديني الذي قامت به الزوايا في الإصلاح و النهضة الوطنية في الجزائر يقول محمد الطاهر فضلاء :(إن جذور النهضة الوطنية وبَعدها الحركات تعرب في أعماق هذا الوطن وفي نفوس أهله بتأثير من هذا التعليم الديني في الزوايا ولولا هذا التعليم ورجاله وطلابه ولولا الهالات التي كانت تخيم في سماء هذا الوطن من هذا التعليم الديني ومعاهده لأزداد تغرب هذا الدين وحشة بين أعداءه ولكان بعد أهله عنه أكثر ذوا بانا وانهيارا وهو يجابه تلك الظروف القاسية المتسلحة بروح الصليبية الحاقدة والعلمانيين المتهافتة الكافرة والمتبرجة في ثياب الإغراء والفتنة ولكن كان هذا التعليم الديني وعلماءه وفقهاءه المرابطين في زواياهم ومساجدهم وقراهم النائية عن العمران هم الذين حافظوا على

الشخصية المميزة لهذا المجتمع المسلم في هذا الوطن العربي المسلم)(**بولحية،ن.2015:277**) ولعل شموخ الشعب الجزائري مدة 132 سنة نحو الفرنسة ما هو إلا من ثمار هذا التعليم الذي تغلغل في نفوس وأفئدة هذا الشعب.حتى عجزت فرنسا بكل سياستها على تجهيله وتدجينه.

ولقد كانت الأهداف التربوية للتعليم في الزوايا والكتاتيب قائمة على التنفيذ العلمي لأحكام الإسلام ومبادئه وطريقة تربيته للمريدين أليها والدعاة وتدريبهم على نشر ما تعلموه ليكونوا جنودا مدافعين على العقيدة.(**بن اسماعيلي،م.2001:19**)

وقد تخرج من هذه الزوايا العديد من العلماء والأبطال المنتشرين عبر ربوع هذا الوطن. وعموما يمكن القول أن نقول أن التربية في الزوايا كانت تدور حول الدين وعلومه وطرق تلقينها لأتباعها والمترددين عليها.

2-3 الوظيفة الاجتماعية

إن قيام الزوايا وتصدرها للوظيفة التربوية و الدينية أهلها لأن تكتسب سلطة اجتماعية في المجتمع و تحظى بالتبجيل والقداسة ، الشيء الذي جعلها تستوعب حاجات المجتمع وتتولى شؤونهم وترعى مصالحهم وتطلعاتهم

ومن أهم مظاهر الوظيفة الاجتماعية للزاوية في المجتمع نذكر ما يلي:

أ- فض النزاعات وعقد الصلح

تعتبر هذه الوظيفة من أهم ما قامت وتقوم به الزاوية في الماضي الحاضر وذالك بعقد الصلح ورد المظالم انطلاقا من رؤية إسلامية تحث على الصلح وتدعوا إليه قال تعلى: {**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**} (**النساء:114**)

وقوله تعالى: {فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(الأنفال:1)

وفي هذا الصدد يقول محمد بن اسماعيلى: ولقد كان علماء ومشايخ هذه المؤسسات دور اجتماعي يربطهم بالمجتمع المحلي.... وهو السعي

في الخير وفض المنازعات والخصومات وعقد المصالحات ومد خيوط المحبة والوفاق بين الناس.(**اسماعيلي،م.2001:19**).

ولعل من أبرز النماذج الشاهدة على ذالك حينما وقع خلاف بين دولتين جارتين مصر والسودان وعجزوا عن إيجاد حل لهذا الخلاف فجاءت الطريقة الصوفية كمُخَلِص من هذا المأزق. يقول حسين صغير متحدثا عن هذا الخلاف :<<.....وثَمة صلح آخر أكبر من هذا بكثير لكونه وقع بين دولتين إفريقيتين كبيرتين السودان ومصر،وقام بهذا

الصلح الشريف سيدي محمد الحافظ المصري[2] عندما اشتد الخلاف وعجز رجال الحُكم والحِكمة عن تسوية هذه الوضعية بينهما، وقد كاد الخلاف يتحول إلى شر مستطير،وعند ذالك سعى الشريف وأصلح بين الدولتين صُلحا يُرضي الطرفين>>.(**عيسى،ص.2003/2004: 118**)

ب- تحقيق الضبط الاجتماعي

يعتبر ضبط السلوك الاجتماعي من أهم الوظائف الاجتماعية التي تحققها الزاوية في المجتمع فالطرق الصوفية لها دور مهم في الضبط الاجتماعي من خلال لجوء المريدين وأهليهم وجيرانهم للشيخ لما له من تأثير عليهم ومكانته المرسومة وفي حل المشاكل الأكثر تعقيدا.

كما أظهرت بعض الدراسات قوة و تأثير الضبط الخفي على المريدين و هو القائم على الضبط الذاتي من داخل المريد و المتوقف على مراقبته لنفسه و الالتزام بقواعد الطريقة و آدابها (منهجها) ظاهرا و باطنا , فهو بذلك يتضمن نوعي الضبط معا إذ يمثل الضبط الظاهر جزءا منه : فطريق المريد قائم أساسا على علاقته بالله و كل ما دون ذلك ما هو إلا وسائل للوصول للغاية المنشودة , بذلك كان نمط الضبط الخفي أكثر ملائمة لهذه العلاقة التي ليست في حاجة إلى نمط الضبط الظاهري الذي يحكم باقي العلاقات الدنيوية . فمن استطاع أن يحقق الضبط الذاتي حقق معه الضبط الاجتماعي الخارجي. (**هيبة،س.2011:459**)

فللطريقة دور إيجابي في تحقيق الضبط الاجتماعي وقد أعطت بعض الطرق اهتماما كبيرا لهذا الشأن , مما جعلها تضع قانونا خاصا بها يعمل على ضبط سلوك الأعضاء داخل الجماعة و خارجها .

و لعل من أبرز هذه القوانين التي تضعها الطرق الصوفية و الزوايا والتي تساعد على الضبط سلوك الفرد في المجتمع، فمثلا الطريقة التجانية تضع من بين الشروط لطالب الانتساب للطريقة ضرورة المحافظة على الصلاة في الجماعات والأمور الشرعية وعدم الآمان من مكر الله وأن لا يقاطع أحدا من المخلوقات خصوصا الإخوان، كما يجب على المريد بر الوالدين حتى يتسنى للشيخ تلقين مبادئ الطريقة.(**تجاني،م.2003:ص17-18**)

كذالك تضع بعض الزوايا نظاما صارما لتلاميذها وطلابها يعمل على ضبط سلوك التلميذ وتنشئة على القيم الإسلامية ومن أبرز ما تضعه مثلا زاوية يحي العيدلي بمنطقة تاموقرة ببجاية كشروط للطلبة المتمدرسين ما يلي: – اللغة العربية إجبارية – القيام مبكر إجباري – الحضور لأوقات الصلاة إجباري مع الجماعة ومن يتخلف مرات يطرد– حفظ حزب من القرآن كل شهر.(**العقبي،ص.2002:463-464**)

وأيضا من مقومات الأثر الفعال للطرق الصوفية على المجتمع هو دفع عملية الحياة إلى الحركة والتسامي والتقدم الذي يكون

---

[2] * الشريف محمد الحافظ المصري مقدم من مقادم الطريقة التجانية الكبار مازالت زاويته التي أسسها بحي المغربلين بالقاهرة بمصر موجودة حتى الآن، وقائم على شؤونها بعد وفاته ابنه أحمد بن محمد الحافظ.

لا بديل عنها في مكافحة الجريمة ومقاومة الانحراف وإيقاظ الضمير الاجتماعي وتحقيق الضبط الاجتماعي وتدعيم القيم وترسيخها إذ الطريقة تغلغلت في حياة أعضاءها الدينية و الاجتماعية والتربوية والعلمية والفكرية (**بوسليم،ص.2010:457**)

إن كل هذه الضوابط تساعد في بعث قيم مختلفة لدى الأفراد وهي بمثابة دعوة للآداب والأخلاق والالتزام الديني والتي من ثمارها بناء فرد صالح في المجتمع.

ج- تحقيق الاندماج وكسر الحواجز القبلية

فقد عملت الزوايا على إدماج الأفراد تحت مضلة واحدة وبذالك قضت على الفوارق الاجتماعية والعصبيات داخل المجتمع .فالزوايا ساهمت في كسر الحواجز القبلية و العروشية و تحقيق الولاء و فض النزاعات التي تنشأ بين العائلات والأعراش وتحقيق التواصل بين القبائل والأعراش بتشجيع الممارسات التآلفية في المناسبات الدينية و طقوس الوعدة و التويزة و غيرها حيث لهذه الطقوس أهمية في المحافظة على توازن الحياة بكل مكوناتها و في إدماج الأفراد ضمن الجماعة باعتبارها قواعد السلوك التي تحدد كيفية تعامل الإنسان مع الأشياء المقدسة و كذا دورها في تأطير الاندماج الاجتماعي للفئات الفقيرة و المهمشة و السعي إلى تحسين ظروف الحياة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و الاهتمام بالغرباء و أبناء السبيل .(**العرباوي، ع.2010:20**)

د- دعم العمل الخيري والتضامني (التكافل الاجتماعي)

يعتبر العمل الخيري والتضامني من أهم الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها الزوايا وتعمل على ترسيخها في المجتمع والتي من أهدافها تنمية روح التضامن والتكافل الاجتماعي والمشاركة في بناء المجتمع ومن أهم صور التضامن التي تقوم بها الزوايا :

1-الإطعام: وهو فعل خيري تقوم به الزوايا بهدف تنمية روح التضامن الاجتماعي لدى الناس وتحسيسهم وإشعارهم بالمسؤولية المشتركة ومن مظاهر التضامن ما تقوم الطريقة العلوية مثلا كمائدة رمضان،وهو سلوك ايجابي يظهر الاهتمام بحاجات الآخرين الإنسانية.(**بن عزوز، ع.2017:288**)وقد واشتهرت بعض الزوايا بالإطعام حتى نسب إليها كوظيفة .

2- الختان الجماعي:وهي عملية تتوجه بها الزاوية في مناسبات خاصة للأفراد المعوزين والتي من أهدافها تخفيف الأعباء والنفقات (**بن عزوز، ع.2017:249**) بحيث تتفق مع أطباء مختصين من المستشفيات للقيام بهذه العمليات .

كما اشتهرت الزوايا في الجزائر بالتويزة وهي تعاون كافة أفراد المجتمع في القيام بأعمال ذات منفعة للمجتمع ودون مقابل وهي وتعاون على البر والتقوى ،كما تقوم الزوايا عموما بإحياء الاحتفالات الدينية والمولد الشريف وليلة القدر ،كما عملت الزوايا على كفالة الأيتام في فترة معينة وتوفير مأوى لهم كذالك قامت الزوايا بالمساعدات في أوقات

الشدة أيام الجفاف والقحط (1865إلى1868) وفي المجاعات1869(**الحسيني، ع.2017**:) فالزوايا تقوم بدور اجتماعي لا يستهان به في المجتمع ،وإن الأدوار التي تقوم بها ما هي إلا انعكاس للمنهج الفكري للزاوية ، وهو الدين الإسلامي الذي يحث على كل هذه الأعمال.

وقد أشارت إلى هذه النتيجة سعاد كعب بقولها: إن العلاقة بين الزاوية والمجتمع هي علاقة حميمية، فدور الزاوية التاريخي يؤكد هذه الحقيقة فقد اعتبرت مؤسسة دورها اجتماعي ودينيا بالأساس ,وهي مكان للتعليم ومكان للتطبيب ومكان لفض النزاعات بين الأفراد والقبائل وأعتقد بأن هذه الأمور كلها تندرج في الوظائف الدينية. كما إن الخدمات التي تقدمها الزاوية المعاصرة لا تبتعد عن ما تقوم به الجمعيات من إعانة المعوزين . نشر العلم و التنوير الديني و الروحي كما يمكن أن تكون فضاء للتثقيف في مختلف فروع المعرفة إضافة إلى الترفيه الروحي الذي يتحقق عن البعد الجمالي للسماع.(**كعب،س.2010:16**)

إن الوظائف التي تقوم بها الزوايا في المجتمع ساهمت إلى حد بعيد في تأطير الكثير من الفئات الاجتماعية كل حسب مستواه وتجلت فيها الزاوية بدور المؤسسة التي تعد الفرد والمجتمع من خلال بعد اجتماعي يحل المشاكل والنزاعات ويساعد الفقراء ومن خلال هيمنة رمزية تساعد على الضبط الاجتماعي للسلوك وخلق التماسك الاجتماعي ومن خلال عهد بين الشيخ والمريد يلتزم فيه بالتمسك بالأذكار وتزكية النفس ومن خلال تضامن عضوي بين أفراد هذه المؤسسة ومن خلال بعد جمالي وذوقي من خلال السماع والترويح على النفس ومن خلال بعد تربوي ساهم إلى حد ما إلى الحفاظ على معالم الهوية الثقافية للوطن من خلال تعليم القرآن واللغة والفقه الذي أنتج الكثير من المدرسين والأئمة والواعظين.....

3- مفـــهوم التحديث

لقد عرف موضوع التحديث رغم حداثته اهتمام العديد من الباحثين في مختلف التخصصات ،وسنعطي أبرز التعريفات التي تناولت الموضوع وإلى تفسير المدرسة الوظيفية لمفهوم التحديث.

من أهم تعريفات التحديث تعريف ستيفونوس بقوله: أن التحديث عملية التحرك من حالة تقليدية إلى حالة عصرية أو مستحدثة خلال فترة زمنية معينة.أما أنجلز وسميث فعرفا التحديث على أنه مجموعة من الاتجاهات والمعتقدات المميزة للشخص العصري بوجه خاص ويقابلها مستوى المجتمع ارتفاع مستوى التحضر والتصنيع والتعليم والميكنة و التكلونوجيا.(**عليان،م وعسيلة،ع.2004:613**)

بينما يعرف دانيال ليرنر التحديث هو عملية تغير اجتماعي تكتسب بمقتضاها المجتمعات الأقل تطورا الخصائص العامة للمجتمعات الأكثر تقدما ويتم تفعيل هذه العملية عن طريق الاتصال الدولي .(**حسان،ت..2013:84**)

من خلال هذه التعريفات فإن التحديث هو انتقال وتحرك من حالة تقليدية إلى معاصرة وبالتالي أي أن كل إنسان أو مجتمع لا يساير المجتمع المتحضر في كل شيء فهو تقليدي.

وتنطلق هذه الرؤية من مفترضات المدرسة الوظيفية التي ترى بأن العوامل الكامنة خلف تحول المجتمعات التقليدية هو تلقيها لأنماط مغايرة من الثقافة تأتيها عن طريق عملية الانتشار الثقافي المادي والغير مادي من المجتمعات المتقدمة، وبالتالي فإن جوهر عملية التحديث هو نقل الخصائص المميزة للثقافة الغربية وإحلالها محل الخصائص التقليدية.(**المطيري، ع.2013:24**)

ولعل من أبرز المفكرين ألبورت مور الذي ذهب صراحة أن التحديث هو التغريب ويقول لا يعني التحديث الأخذ بنمط الحياة الغربي لا في مجال الاقتصاد والتكلونوجيا فقط ولكن في الثقافة والفكر وطريقة الحياة وأشكال ومحتوى النظم الاجتماعية.(**المطيري، ع.2013:25**) ، فلكي يحدث التقدم والتحضر للمجتمعات النامية يجب أن تقوم بتحديث نفسها وفق المجتمعات الغربية.

غير أن التحديث في رأينا لا يعني مسايرة النموذج الغربي في كل شيء وإلغاء الخصوصية الثقافية والدينية ،بل يمكن استثمار وسائل وآليات التحضر والتقدم والتنمية كالتكلونوجيا والميكنة والتصنيع وغيرها بالنهوض بالمجتمع في شتى المجالات بما يتوافق مع ثوابت و خصوصية هذه المجتمعات.

وقد أوردت حنان فلاح سليم زقوت مفهوما للتحديث في هذا السياق بقولها: التحديث لا يعني ترك الماضي وإنما التعامل معه على مستوى المعاصرة ومواكبة التقدم على الصعيد الحالي بصورة عقلانية ذات نتائج ايجابية كاستجابة الفرد لتقبل الخبرات الجديدة والانفتاح الفكري مع القيم والنزعة الديمقراطية والتخطيط والتنظيم والكفاءة والقابلية للتعليم والحس الرقمي...(**زقوت، ح.2000:24**)

ويرى عثمان محمد أن جل مفاهيم التحديث دارت في المعنيين التالين:

أ- المعنى الأول :ارتباط مفاهيم التحديث بالحداثة والمعاصرة ،وذالك على اعتبار يهدف إلى جعل الأشياء أقرب إلى مواصفات أو سمات العصر الحديث .

ب- المعنى الثاني : ارتباط مفهوم التحديث بالتقدم ،فمن أهم نتائج التحديث في نظر الكثير أنه يسهم في تسريع حركة التقدم والارتقاء

بالمجتمع والثقافة.فالتحديث يساهم في التغيير الاجتماعي وانتقال المجتمعات إلى حالة أكثر نضجا وتعقيدا من ناحية النمو(**زقوت، ح.2000:8**)

وهذا يعني أن التحديث استثمار لوسائل الحداثة والتحضر من آليات ووسائل ومن نتائجه التقدم الذي يساهم في التغيير الاجتماعي .

ومن خلال هذه المفاهيم نسقط مفهوم التحديث على الزوايا وذالك بالقول:

التحديث في الزوايا :هو مدى معاصرة الزوايا لمظاهر التحضر والتقدم وذالك بتوظيف الوسائل التي يستعملها المجتمع المعاصر من تكلونوجيا ووسائل الإعلام ونظم تعليمية جديدة وخبرات وإلى غير ذالك من الوسائل بما يضمن استمرارية وفعالية رسالتها في المجتمع.

4- عوامل انتشار التحديث

هناك عدة عوامل تساعد على نشر التحديث في المجتمعات نذكر منها:

1- التعليم:حيث بينت الكثير من الدراسات وجود علاقة مباشرة بين درجة التعليم وطبيعة ما يتلقاه الفرد ومقدار استعداده للخروج من الفكر التقليدي والدخول في الفكر الحديث.(**المطيري، ع.2013:33-34**)

2- ويأتي بعد التعليم هو إحداث التحول الفكري والثقافي وسائل الإعلام ،فأكثر الدراسات تشير إلى دور وسائل الإعلام ومدى فاعليتها في أحداث التحول في التحديث.(**المطيري، ع.2013:33-34**)

3- من العوامل الفاعلة في إحداث الانتقال إلى الحداثة المؤسسات الوطنية على أنواعها من جمعيات ونقابات جيوش وأمثالها (**زيادة،م.1978:88**) التي تشكل شبكات تترابط فيما بينها تشكل من خلالها الدولة الحديثة.

5- الأنـماط الأساسية لتحديث

يرى الباحثون والمهتمون بحقل التحديث أن هناك ثلاثة أنماط للتحديث

أ- النمط الاجتماعي للتحديث-:

ويمكن تصور التحديث الاجتماعي من خلال المؤشرات الدالة على التغير الاجتماعي الحادث في جميع جوانب المجتمع كالتحضر، التغير في بناء الأسرة، في قنوات الاتصال، التغيرات الديموغرافية، الأشكال الحديثة للاستهلاك(**زقوت، ح.2000:34-35**)، كذالك من بين مؤشرات التحديث ظهور نموذج للشخصية يوصف على أنه رشيد وعقلاني قادر على اتخاذ قرارات مبنية على الحسابات الدقيقة للربح والخسارة كذالك ظهور جماعات تستند إلى أشكال من التضامن المهني والحرفي الذي يعتمد على المصالح ويسقط روابط القرابة ويحل محلها روابط تعاقدية.(**عماد، ع..2006:219**)

ب- النمط السياسي للتحديث-:

ويمكن تصور النمط السياسي للتحديث من خلال مؤشرات كتوحد عملية صنع السياسة، مركزية الأجهزة الإدارية أي وجود التسلسل الإداري مع التنسيق بينها(.(**زقوت، ح.2000:34-35**)

). كذالك من بين المؤشرات تزايد المشاركة السياسية والتمثيل الديمقراطي وكذالك تزايد مقدرة الدول على التعامل مع الجماهير وظهور المواطن القادر على التعاقد والتفويض وظهور الأحزاب والجمعيات الطوعية والحركات الاحتجاجية..... (**عماد، ع..2006:218**)

ج- النمط الاقتصادي للتحديث-:

ويمكن تصور النمط الاقتصادي للتحديث من خلال مؤشرات كزيادة الإنتاجية للفرد، زيادة نسبة استثمار رأس المال إلى الإنتاج القومي، غلبة الأنشطة ذات الكثافة فيرأس المال، التفوق والانتشار للإنتاج التصنيعي على غيره من الأنماط التقليدية، المساواة في توزيع الإنتاج القومي الكلي عبر المستويات الاجتماعية المهنية بين المناطق الجغرافية.(**زقوت، ح.2000:34-35**)

6- نماذج التحديث لزوايا الطرق الصوفية

6-1-نموذج زاوية الطريقة البرهانية بالسودان وجماعة رسائل نور التركية

لقد عرفت بعض زوايا الطرق الصوفية تحديثا شمل الخطاب والوسائل وهذا ما بينته بعض الدراسات كدراسة أفاق صادق حول ظاهرة الطرق الصوفية العابرة للقوميات دراسة مقارنة بين الطريقة البرهانية السودانية وجماعة رسائل نور التركية(الحركة النورسية).

و **الحركة النورسية:** جماعة إسلامية هي أقرب في تكوينها للطريقة الصوفية منها للحركة المنظمة ركز مؤسسها إلى الدعوة إلى حقائق الإيمان والعمل على تهذيب النفس محدثا تيارا إسلاميا ساهم في الوقوف أمام المد العلماني الماسوني الذي اجتاح تركيا عقب سقوط الخلافة واستيلاء كمال أتاتورك على الحكم.(**http//ar.wikipedia/wik/**)وهي امتداد لأفكار ودعوة بديع الزمان النورسي(1873م- 1960)في تركيا ،وقامت هذه الدعوة بعد سقوط الدولة العثمانية أين كانت تمر الأمة الإسلامية بظروف حالكة وقد برزت مضامين دعوته من خلال كتابه (من خلال رؤية جديدة للقرآن) تضمن مجموعة من الرسائل أطلق عليها ب:(رسائل النور)،واستطاعت هذه الحركة أن تستمر وتقوى مع مرور الأيام حتى صارت حركة تجديدية ارتكزت على العلاقة التكاملية بين الإيمان والعلم وعلى فلسفة القرآن ومبادئه وقيمه مستلهمة من مقولة مؤلفها (ضياء القلب العلوم الإسلامية ونور العقل العلوم الحديثة وبتمازجها تتجلى الحقيقة وبافتراقهما يتولد التعصب في الأول والشبهات في الثانية) لتؤسس حركة إصلاح ديني ومشروعا انسانيا في تركيا وصل إلى معظم أنحاء العالم الإسلامي بل حتى أوروبا والعالم الغربي بفضل جهود طلابه.(**صادق،أ.2011:26**)

وقد وظف طلاب النورسي كل الوسائل الحديثة التي توظفها الغرب لنشر دعوته عبر العالم حيث تستعمل كل التقنيات الحديثة من المطبوعات والنشر والترجمة,الإعلام المرئي والمسموع ,التعليم والتدريب ،المؤسسات التجارية . وقد أدى استعمال هذه الوسائل إلى عمق وعي الطلاب بمقتضيات العصر ومتطلباته فمن الاهتمام بالتعليم والتعلم

إلى مكافحة الفقر وتقديم الخدمات الإغاثية وتأسيس منظمات وطنية والانفتاح والحوار مع الأخر بمختلف أشكاله أسهمت في انتشار الحركة النورسية بطريقة سلسة وسريعة حتى في الدول الغير إسلامية خاصة في أوربا والغرب والدليل على ذالك أن رسائل النور التركية ترجمت إلى أكثر من 30 لغة عالمية واعتنق بفضلها الإسلام .(**صادق،أ.2011:33**)

أما الطريقة البرهانية : ومركزها السودان هي من فروع الطريقة الدسوقية الشاذلية التي تعد امتدادا لأشهر المدارس الشاذلية التي وجدت على يد السيد أبي الحسن الشاذلي .وقد تعددت الروايات حول انتقال الطريقة إلى السودان ومن ثم سودنتها على يد الشيخ محمد عثمان عبدو ،فتذكر إحدى الروايات أنها دخلت إلى السودان عن طريق المغرب بواسطة السيد أحمد زروق الذي أخذها من السيد أبي المواهب حفيد أبي الحسن وتشير هذه الرواية إلى أن السيد أبا المواهب الشاذلي هو الذي جمع بين أوراد السيدين إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي ،وبالتالي يعد الشيخ أبو المواهب هو أول من رفع لواء الطريقة الممزوجة "الطريقة الدسوقية الشاذلية". ويذكر أن السيد أحمد زروق قد نشر الطريقة في عدة مناطق في السودان ،وأخذ عنه السيد أبو دنانة ،ومن ثم الشيخ إدريس ود الأرباب ،ومنه إلى الحاج فضل وهو جد الشيخ محمد عثمان عبدو. أما الطريقة الثانية التي انتقلت بها البرهانية إلى السودان فهو من مصر عبر واد الحلفا ،حيث عرفت هناك بإسم الطريقة البرهامية بواسطة الشيخ عبد الرحمان بتيك. .(**صادق،أ.2011:27**)

فقد استطاعت هذه الطريقة إنشاء عدد من المراكز والزوايا في أووربا وأمريكا الشمالية وقد أثبتت قدرة على تكييف نظامها الاجتماعي

والتكنولوجي وقد مزجت بين العناصر الإسلامية التقليدية وعناصر الحداثة التي حملتها الطبقات الوسطى في الغرب وفي الوقت ذاته

حافظت على علاقة حميمية وقوية مع المركز الرئيس ويمكن إبراز أهم مضاهر هذا التكيف في الآتي:

أ- استخدام الاتصال الإعلامي المبني على الثقافة الغربية.**ب**- الخطاب العالمي لهذه الطريقة الصوفية

ج- اقتصاديات الطريقة الصوفية ووضع المرأة وكذالك التوازن بين التصوف والإسلام .

حيث أبرزت الدراسة في هذه الزاوية دور المرأة كقائدة ومرشدة دينية تدعو الناس لدخول لهذه الطريقة مما أعطى لها دورا مؤثرا ومساهما وفعالا , وهناك حاليا قطاع نسوي لهذه الطريقة معني بشؤون المرأة ,هو قطاع يقوم بأنشطة مختلفة. (**صادق،أ.2011:33-34**) ،حيث أن لهذه المرأة دور في الدعوة والإرشاد الديني.

كما قدمت هذه الطريقة مضمونا اقتصاديا يعرف باقتصاديات التدين يجسد تحولا في المنظومة الصوفية ,لقد عملت هذه الطريقة على إنشاء شركة عابرة للقارات من أبناء الطريقة سميت (HIMA)برأس مال يقدر 400 مليون دولار وقد تأسست هذه الشركة على يد أعضاء هذه الطريقة من جنسيات مختلفة عام 1994. حيث مقرها الخرطوم ولها مراكز في مصر وتضم 30عضوا من 30 دولة يتقاسمون الاشتراك.(**صادق،أ.2011:36**)

كذالك انتقال مستوى الخطاب المحلية من زاوية وطريقة صوفية محلية إلى طريقة صوفية عابرة للقارات ,وهو انتقال مستوى خطابها الفكري والديني والاجتماعي والسياسي في التركيز على المشاكل المحلية إلى مناقشة دينية وعقلانية للقضايا التي تشغل الرأي العام كقضايا الإرهاب وحقوق الإنسان وشؤون البيئة وغيرها من القضايا المثارة عالميا، كم نظمت مؤتمر لحوار الأديان بمدينة هامبورخ بألمانيا.(**صادق،أ.2011:35**)

إن انفتاح هاتين المؤسستين على ماوفره التطور من آليات جديده جعلت منهم مؤسسات فاعلة في المجتمع ،وحتى في المجتمعات الغربية ،فخطاب الفرد بالوسائل التي يتبناها ويستعملها لابد أن تلقى الرسالة التي تريد الزاوية أن توضحها للغير آذنا صاغية ،وبالتالي أدت الزاوية رسالتها وحافظت على وجودها.

6-2- نموذج الــزاوية التجانية بتماسين ولاية ورقلة وبعض فروعها بولاية الوادي-الجزائر

لقد عرفت بعض الزوايا بالجزائر تجديدا شمل الممارسة والخطاب اقتضتها طبيعة العصر لعل أبرزها الزاوية التجانية بتماسين ولاية ورقلة وبعض فروعها في ولاية الوادي حاولت الزاوية أن تكيف نفسها مع المتغيرات الجديدة من خلال اندماج اجتماعي مع المتغيرات التي يشهدها العالم اليوم ومن خلال مواكبة العصر وما يتمتع به من أساليب جديدة. مع التمسك بثوابتها ورسالتها التي نشأت من أجلها وهي تزكية النفس عن طريق العبادة والذكر والمحافظة على الصلاة وقراءة القرآن .

فنجد الزاوية التجانية بتماسين والتي هي من الزوايا الكبرى لطريقة التجانية في العالم وقد أسسها الخليفة الأعظم سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه عام 1217هـ 1803 بإذن من الشيخ الأكبر (سيدي أحمد التجاني) ثم تم تحويلها عام 1220هـ/1805م إلى تملاحت وقد خدم شيخه بتفان وحب إلى أن رقاه مقام الخلافة في حياته حيث قال له في جمع من أصحابه "إن أمرنا هذا يتلقاه حي عن حي مشافهة وإنما أنت الخليفة عليه من بعدي"وأمره بالتربية وتأسيس زاوية تماسين ومنذ ذالك اليوم وهي تقوم بدورها الروحي ،الحضاري الثقافي والاجتماعي ،وكان شعاره "السبيحة"والمسيحة واللويحة وهي إشارة إلى "العلم ،العمل،العبادة"لبى داعي ربه يوم الثلاثاء 22صفر 1260 الموافق 12مارس 1844م. (**الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم.2008:9-10**)

تحتوي الزاوية على مجمع ثقافي و مدرسة قرآنية تتكون من عدة قاعات وعدة معلمين تدرس الفقه والمتون والتفسير وتحفيظ القرآن كما تخرج عام 2007 من المدرسة القرآنية 101 طالبا منهم11 عشر حافظا مجازا.(**غريسي، ع.82:2013**)

كما عملت الزاوية على تأهيل المرأة الماكثة بالبيت سنة 2002 حيث تعاقدت مع التكوين المهني ل32 فتاة وتخرج منها 18 فتاة

من خلال افتتاح ورشة للصناعة التقليدية سنة 2006 حيث تم لهن تأطير عالمي للفتيات المتخرجات سنة 2002 من جمعية شمس الأوربية وبمساعدة الفنان العالمي رشيد قريشي هدفها السمو والرقي بالمرأة التماسينية الماكثة في البيت ودمجها في الحياة المهنية.(**تجاني،ن.19:2015**)، أما محسن تيجاني فيضيف في حصة ناس الخير على القناة الثالثة

حصول الفتيات على الجائزة الأولى عالميا في الصناعة التقليدية .تهتم هذه الورشات بصناعة البرانيس والمعاطف النسائية صناعة ،الزرابي وألبسة الدمى....(
https://www.youtube.com/watch?v=K8D8zGV3LkE

كما قامت الزاوية ببناء مكتبة ضخمة قام بتدشينها رئيس الجمهورية2001 وتحتوي على قاعتين للإناث والذكور مجهزة بأجهزة كمبيوتر وأنترنيت. وتم زيادة بعض الحجرات إليها وهي تضم في رفوفها حوالي 19000 عنوان أي ما يقارب 24000 كتاب مصنفة بتصنيف ديوي العالمي ،ويصل عدد المنخرطين على مستوى المكتبة إلى مايفوق950 منخرط، وهذه المكتبة من ضمن الصرح الثقافي الذي يحتوي على قاعة إدارة وقاعات للضيوف وقاعة كبيرة للمحاضرات والملتقيات.(**تجاني،ن.2015:18**)

كما تحتوي الزاوية على روضة للأطفال تم افتتاحها عام 2009 كما توجد بالزاوية جمعية التماسيني للثقافة والعلوم ومجلة الجوهرة وجمعيات للقصيد الديني كما توجد مواقع على الانترنيت تعرف برسالتها .

إن هذا التوجه الذي تقدمه الزاوية يقوم ببناء الإنسان من خلال تحقيق مبدأ القراءة للجميع من خلال هذه المؤسسة لأن القراءة تثري المحيط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي و من خلال بث العلم ونشره بين أفراد و المجتمع وإصدار مجلات ناطقة باسم الزاوية يعرف بها وبتوجهاتها الفكرية (من أنا وماذا أقدم وإلى أين أسير)وهي فرصة للآخر ليتعرف على هذه المؤسسة، فعملية التعليم في الزاوية متواصلة تبدأ من الروضة ثم حفظ القرآن بالزاوية ثم بالمكتبة للمطالعة وانجاز بحوثه في جميع مراحل الدراسة بالمدرسة الثانوية والجامعية.

كما تعمل الزاوية في المجال الفلاحي بغرس النخيل حيث يوجد بها أكثر من 14000 نخلة وتتم العملية بالمناصفة بين العامل وصاحب الغابة شيخ الزاوية حيث يسترزق منها عدد من الناس من 50إلى 60 فردا كما تستعمل في ريها عملية الصرف الصحي عن طريق التصفية عن طريق النباتات وهي الأولى من نوعها على المستوى الوطني وهي طريقة طبيعية.(https://www.youtube.com/watch?v=K8D8zGV3LkE)

وفي لقاء مع المشرف على التعليم القرآني بالمدرسة القرآنية بتماسين فإن الزاوية تقوم بتدريس القرآن الكريم بطرق البرمجة العصبية اللغوية كتوجه جديد في التعليم، كما تعمل الزاوية بمعايشة الواقع المحيط بتقديم ثقافة صحية وقانونية للمرآة .كما تقوم الزاوية باحتضان الملتقيات الوطنية والدولية وتقوم بالأيام التوعوية حول الأمراض الفتاكة والخطيرة والآفات الاجتماعية والثقافة المرورية ومناقشة القضايا الراهنة كمشاكل الشباب وتحديات المنظومة التربوية ذالك بمشاركة المؤسسات التربوية والحكومية كالمدارس والجامعات والقيام بحملات التبرع بالدم ،كما تقوم بالقيام بدورات في التصوير الفتوغرافي والتنمية البشرية . كما يوجدبالزاوية مجموعة من المجلات كمجلة الجوهرة ومجلة الهدى ومجلة انمار ومن الجمعيات جمعية شمس تماسين للحرف اليدوية والتقليدية وجمعية العلوم والثقافة وجمعية المرأة والطفل كما تحيي الزاوية العديد من المناسابات كالمولد النبوي الشريف وليلة القدر وعيد المرأة ويوم الطفل.(**مقابلة مع بشير بن عجوان بزاوية تماسين 2017/02/16على الساعة 10:00**)

كما حذت فروعها في زاوية قمار بالوادي نفس المسار حيث تضم الزاوية مجمع ثقافي ضخم به قاعة للإدارة ومكتبة وقاعات للمحاضرات والملتقيات ورشة للصناعة التقليدية وجمعية تسمى بأفاق المعرفة والثقافة ومركز لمعالجة مرض التوحد تحت إشراف جمعية تسمى بسمة ، قاعة للانترنيت مرتبطة بالشبكة العنكبوتية ,أما في زاوية حاسي خليفة فيوجد بالزاوية مجمع ثقافي يضم فوج معنى بتحفيظ القرآن الكريم وورشة للمرأة الماكثة بالبيت متعاقدة مع التكوين المهني بلدية حاسي خليفة وجمعية رياضية تسمى بأسود الهمايسة وفوج للتواصل الكشفي.....(https://www.youtube.com/watch?v=K8D8zGV3LkE)

إن الناظر لهذه المؤسسة يلاحظ حركة تجديد فإن الزاوية عبارة عن قرية صغيرة داخل محيطها تتوفر على كل متطلبات الطالب والمريد

والمجتمع بها المسجد والمدرسة القرآنية رياض الأولاد مراكز تأهيل المرأة بتوفير ثقافة صحية ومهنية ومعرفية وحقوقية . وهي فضاء ترفهي لمن يحب الإنشاد أو الرياضة وهي مركز للعلم لمن يحب المطالعة وحفظ القرآن ومركز ديني تؤدى فيه الصلوات والأذكار .....

نلاحظ أن الزاوية تحولت في السنوات الأخيرة إلى العمل الجمعوي المنظم في إطار جمعيات ونوادي.... وهذا يدل على تكيف تسعى من خلاله الزاوية على الحفاظ على وجودها وإيصال رسالتها التربوية والاجتماعية والدينية بتوظيف الآليات الجديدة التي يوفرها العصر

إن التحول الزاوية الذي عرفته الزاوية المتمثل في العمل إطار المجمعات هو تحول في منظومة التربوية التي تربي بها المريد المنتسب إليها المنفتح على كل العوالم المحيطة به اقتضتها طبيعة العصر وهي تربية متوازنة جمعت بين بناء الإنسان جسميا (كالرياضة بحيث تقضي عن أوقات الفراغ وتحقق له السلامة الجسمية)وتربيه روحية من خلال (الصلاة والذكر وماله من تأثير على النفس والحياة برمتها)وتربيه عقلية من خلال بث روح العلم بين أفرادها من خلال المكتبة وقراءة القرآن والنوادي العلمية و من خلال العقل الواعي الذي يعرف برسالته في المجتمع من خلال الملتقيات والمجلات والمدونات على الانترنيت....

إن محاولة الزاوية استثمار وسائل التحديث الحديثة من تقنيات ووسائل التحضر يجعل من مريديها لا يغتربون عن مجتمعهم هذا من جانب وربطهم بتراثهم وعقيدتهم يجعل منهم أفراد فاعلين مؤثرين غير متأثرين من جانب آخر. هذا المنحى يساهم في الحفاظ على الزاوية كمؤسسة اجتماعية تربوية فاعلة في المجتمع في ظل التغيرات المتسارعة التي كان لها آثارها على البنى والتنظيمات.

غير أن مسار التحديث لم تعمل به كل الزوايا وذالك نتيجة انغلاق شيوخها على المعاصرة الشيء الذي يجعل أفكارهم ومناهجهم ومؤسساتهم في محك أمام طوفان العولمة .

خاتـــمة

من خلال التكيف التي سارت عليه بعض الزوايا حيث لم يعد دورها ديني(عبادي طقوسي) أو تربوي صرف بل تحاول أن تصبح مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني فاعلة في المجتمع تحدث تأثيرا في بناءه من خلال مدارسها الثقافية ومجمعاتها الثقافية والجمعيات والمجلات ودور لتعليم الصغار.....,

.إن هذه التغيرات التي طرأت على الدور و الوظيفة لدى مؤسسة الزاوية يمكن أن يعول علية في مواجهة التيارات الجارفة والتي انزاحت من خلالها الحدود الافتراضية بلمسة أصبع على الهاتف أو الانترنيت وأنتجت فردا بعيدا عن هويته ومتنكرا لذاته وقيمه وقوضت من خلالها أدوار المؤسسات الأخرى المختلفة ,إن إعادة بعث مواطن صالح ذا هوية متمسك بقيمه ومنفتح عن العالم من أهم الأطر الحضارية التي يسعى إليها المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن العظيم .

2- الوزاني عبد الله شريف. (دس) الـــزاوية الوزانية .(د د ن) .

3- المدني أحمد توفيق. (دس) . كتاب الجزائر. المطبعة العربية.

4- النيسابوري مسلم بن حجاج .(2006). صحيح مسلم.(ط1).الرياض :دار طيبة للنشر والتوزيع.

5- العقبي صلاح مؤيد.(2002).الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، بيروت لبنان: دار البراق.

6- الرازي محمد بن أبي عبد القادر .(1779). مختار الصحاح .لبنان :مكتبة لبنان.

7- الغزالي أحمد .(دس) .مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية. (د د ن).

8- بولحية نور الدين.(2015).جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما .(ط1) بسكرة: دار علي زيد للطباعة والنشر.

9- بن إسماعيلي محمد .(2001).مشائخ خالدون وعلماء عاملون .(ط4).(د د ن).

10- جمال الدين محمد ابن منظور.(2000). لسان العرب.(ج14) .بيروت ، لبنان: دار صادر.

11- زيادة معن .(1978).معالم على تحديث الفكر العربي.الكويت: المجلس الوطني الثقافي للفنون والآداب.

12- حسن إبراهيم حسن .(1997). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي .بيروت لبنان:دار الجيل.

13- حجي محمد .(1964). الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي .المغرب: المطبعة الوطنية الرباط.

14- سعد الله أبو القاسم .(1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954.(ط1)(ج4). وهران: دار الغرب الإسلامي.

15- لعجيلي التليلي.(1992). الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية 1881- 1939.جامعة منوبة تونس :منشورات كلية الآداب .

16- لعوامر إبراهيم محمد الساسي. تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر.(2007). الصروف في تاريخ الصحراء وسوف. طبعة في اطار عاصمة الثقافة العربية .الجزائر :منشورات ثالة الأبيار.
17- عماد عبد الغني.(2006).سسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة.(ط1).بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
18- نسيب محمد. (د س). زوايا العلم والقرآن.(د س ط).الجزائر:دار الفكر.
19- غريسي علي بن محمد.(2013).أعلام وأختام.(ط3).الوادي: مطبعة sib.
20- رابح تركي.(1975).التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956:دراسة تربوية للشخصية الجزائرية.الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
21-فيلالي مختار .(1976).نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني.(ط1).باتنة :دار الفن القرافيكي.

*** الدوريات والمجلات والجرائد والرسائل الجامعية**

22- عبد الحق بكراوي ومحمد الهادي بكراوي.(2013).الزاوية البكرية أعلام ومخطوطات الشيخ أحمد عبد الرحمان أنموذجا.مجلة رفوف أدرار.(2).
23- بوسليم صالح.(2010).مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين12هـ و13هـ-18مو19م.مجلة الواحات للدراسات والعلوم غارداية.(9).98-120
24- مسعودة خالدي.(2010).الدور التربوي والاجتماعي للزوايا،مجلة أنسنة ،جامعة الجلفة ،(1).61-39
25-خليل كمال.(2008/2007).المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور 1850-1951،رسالة ماجستير .جامعة منتوري قسنطينة.
26- عيسى صغير حسن.(2004/2003).الشيخ أبراهين نياس ومنهجه في التصوف والدعوة إلى الله.رسالة ماجستير .كلية الدعوة الإسلامية.الجمهورية العربية الليبية الاشتراكية العظمى.
27- حسان تريكي.(2013).التحديث وانعكاساته على نسق القيم في المجتمع الجزائري.مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية .جامعة بسكرة .(31/30).83-96
28- المطيري عبد الله بن عوض الميموني(2013).قيم التحديث لدى قيادات الحرس الوطني الجمهوري.رسالة ماجستير.جامعة نايف للعلوم الأمنية السعودية.
29- زقوت حنان فلاح سليم.(2000).الاتجاه نحو التحديث لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة في ضو بعض القيم السائدة.رسالة ماجستير .الجامعة الإسلامية فلسطين.
30- العرباوي عمر .(2010).واقع الممارسة الصوفية في الجزائر والتحديات المعاصرة :قراءة في إمكانية إعادة الدور التربوي والثقافي والسياسي للمؤسسة الصوفية.مخبر الدراسات التاريخية .جامعة معسكر.(1).1-31

31- كعب سعاد.(2-8 مارس2012).تكوين فرد صالح يعني إنشاء مجتمع:مؤسسة الزاوية والمجتمع المدني.أسبوعية نفحات الطريق .الرباط المغرب.(7).ص16

32- عليان محمد محمد وعسيلة عزة يحي.(2004).الاتجاهات نحو التحديث وعلاقتها بمنظومة القيم لدى الشباب الجامعي المعاصر لانتفاضة الأقصى.بحث مقدم في المؤتمر التربوي الأول –التربية في فلسطين وتغيرات العصر- الجامعة الإسلامية .فلسطين

33- صادق أفاق.(2011).ظاهرة الطرق الصوفية العابرة للقارات دراسة مقارنة بين الطريقة البرهانية وجماعة رسائل نور التركية .بحث مقدم في أعمال الملتقى العربي التركي –الثقافة ودراسات الشرق الأوسط.

34- الزاوية التجانية بين الأمس واليوم .(2008).(ط3).ولاية الوادي : مطبعة كونين.

35- تجاني نزهة القلوب.(2015).أضواء على الزاوية .مجلة أفاق المعرفة للثقافة والعلوم. المركز الثقافي للزاوية التجانية قمار.(1).18-19

36- هيبة سيف الدين.(2011).الآثار الاجتماعية والثقافية للتصوف – دراسة ميدانية على عينة من أفراد مريدي الطريقة الشيخية بمتليلي بالجنوب الجزائري.مجلة الواحات للبحوث والدراسات غارداية .(15).450-460

37- التجاني محمد النذير .(2003/05/13).التعرف على الطريقة التجانية.يوم دراسي بمناسبة المولد النبوي الشريف

*** المواقع الإلكترونية**

38- عبد القادر بن عزوز،معالم الاقتصاد التضامني وأسسه ،دراسة عن الزاوية العلوية، ص 228- dspace.cread.dz:8080/handle/CREAD/275.،تاريخ التصفح 10:23، 2017/09/16

39- عبد المنعم القاسمي الحسيني ،التصوف في الجزائرج2، olbordj.blogspot.com/2010/03/2.hnml،تاريخ التصفح،2017/10/10 10:30

40- حصة ناس الخير حول الزاوية التجانية بتماسين، القناة الثالثة الجزائرية ،15-2015/06/16 في حصتين ،https://www.youtube.com/watch?v=K8D8zGV3LkE،تاريخ التصفح 20:10 2017/02/10

*** المقابلات الشخصية**

41- مقابلة مع البشير بن عجوان معلم التعليم القرآني بزاوية تماسين بتاريخ 2017/02/16 على الساعة 10:00 صباحا.